الرواية الجديدة بين رهان التخييل وسلطة التكنولوجيا
محمد سناجلةأنموذجا الدكتور إبراهيم عبد النور، جامعة طاهري محمد بشار –الجزائر

الرواية التفاعلية:

تعرّف فاطمة البريكي : الرّواية التفاعلية بأنّها « ذلك النمط من الرّوايات التي يقوم فيه المؤلّف بتوظيف الخصائص التي تتيحها تقنيّة النّص المتفرّع والتي تسمح بالرّبط بين النّصوص سواء أكانت نصًّا كتابيًا، أم صوّرا متحرّكة، أم أصواتا حيّة أو موسيقيّة، أم أشكالا جرافيكية متحرّكة ، أم خرائط، أم رسوما توضيحية ، أم جداول، أم غير ذلك باستخدام وصلات تكون دائما باللّون الأزرق ، و تكون إلى ما يمكن اعتباره هوامش على متن، أو يرتبط بالموضوع نفسه، أو ما يمكن أن يقدم إضاءة، أو إضافة في النّص بالاعتماد على تلك الوصلات»[1] إذا فالرواية التفاعلية فنٌّ سردي يظهر على شاشة الحاسوب يستعمل آليات النص المترابط، و يُوظّف كل ما أنتجته الوسائط التكنولوجيا الرقمية من صور، ورسومات و أشكال و ألوان، و تقوم الرواية التفاعلية على كسر النمط الخطِّي الذي سارت عليه الرواية التقليدية الورقية ، وتفتح آفاقا مختلفة من خلال النسق الإيجابي الذي يُتيحُه النص المتفرع و تنوع في أساليبها حيث تسمح للمتلقي اختيار الطريقة التي يفضلها في قراءة الرواية دون التزام الترتيب الخطي التقليدي.و تعتمد في تأليفها على برامج إلكترونية، وتنشر على شبكة الإنترنت و تقدم لعدد لا يحصى من المتلقين ، مما يمنحها صفة التفاعلية[2].

آليات تشكيل الرواية التفاعلية:

يلجأ الروائي في كتابة الرواية التفاعلية إلى تقنيات و برامج تساهم في إخراج الرواية للمتلقين، و من أشهر البرامج الإلكترونية :

أ- المسرد(space story): وهو برنامج للكتابة يسمح للمستخدم بتنظيم شظايا النص في ضوء مساحات للكتابة، و نوافذ يمكن ربط إحداها بالأخرى ، فضلا عن إمكانية تضمين النص أشكالا مختلفة وأصواتا و أفلاما.

ب-برنامج الروائي الجديد(newn novelist)الموجود على شبكة الإنترنت.

ومن الأسس الفنية و الآليات التي يتبعها الروائي في كتابة و تشكيل الرواية التفاعلية:

. فاطمة البريكي : مدخل إلى الأدب التفاعلي –المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء- المغرب الطبعة1- 20061 ص 112

2- ينظر: المصدر نفسه، مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص174

1- اتجاه الروائي في إنتاج الرواية التفاعلية إلى كسر النمط الخطّي السائد مع الرواية الورقية الذي يلتزم فيه المبدع برؤية واحدة في مسار خطّي ثابت في بنية الرواية و سير الأحداث ،فيُتيح له النصوص المتفرعة كسر هذا الخط و التنويع في بناء الرواية.

2- قراءة الرواية التفاعلية تتطلّب روح التفاعلية ،إذ يمكن للقارئ في تعليقاته و نقاشه مع كافة القراء أن يثري الرواية و يعدد قراءاتها.

3- النهاية غير ثابتة في الرواية التفاعلية، فقد ينتهي كل قارئ متفاعل إلى نهاية تختلف عما انتهى إليه غيره.

يُعتبَر محمد سناجلة أول روائي عربي يستفيد من معطيات التكنولوجيا الحديثة و شبكة الإنترنت، حيث وظف تقنية النص المتفرع وخاصة الروابط و ما تتيحه من إمكانات، إذ صدر سنة 2001 رواية(ظلال الواحد) استخدم في بنائها التقنية المستخدمة في بناء صفحات الويب، وقام بنشرها على شبكة الإنترنت على موقعين [1] ثم توالت نصوصه الروائية الرقمية(شات) (صقيع)، و اللافت للنظر أن محمد سناجلة لا يستخدم مصطلح (الرواية التفاعلية)بل يستخدم مصطلح (رواية الواقعية الرقمية) و« قد أطلقت على هذه البدعة الجديدة اسم رواية الواقعية الرقمية" [2] و يعرفها في معرض حديثه عن تجربته الجديدة « ما سيميز هذه الرواية عن غيرها هو قدرتها على اتخاذ أشكال مختلفة ، باستخدام الصيغ المختلفة للتقنيات الرقمية التي هي في تطور مستمر" [3] ، و قد حددت فاطمة البريكي أوجه التشابه والاختلاف بين الرواية التفاعلية والرواية الواقعية الرقمية:

1- الشكل السردي: كلاهما يستخدم تقنية النص المتفرع و المؤثرات السمعية و البصرية المختلفة التي أتاحتها التكنولوجيا الحديثة.

2- المضمون:الموضوع في الرواية الواقعية الرقمية محصور في المجتمع الرقمي الموجود في ذاكرة الإنسان الافتراضي و يتشكل عبر شبكة الإنترنت، وبطل هذه الرواية هو أحد أفراد هذا المجتمع أي إنه إنسان يعيش في مجتمع رقمي، و في شبكة العلاقات التي يبنيها فهو ملتزم بهموم هذا الإنسان ،أما الموضوع في الرواية

1 - ينظر: محمد سناجلة : راوية الواقعية الرقمية ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت ، ص9

2 - المرجع نفسه :،ص34

3 - المرجع نفسه ، ص33

التفاعلية فهو أكثر سعة و انفتاحا على المواضيع ، حيث يوظف الأساليب الجديدة في الكتابة الإبداعية المعتمدة على الوسائط المتعددة و النصوص المتفرعة و التقنيات الحديثة دون قيد أو التزام .[1] و يسعى محمد سناجلة لتحديد سمات هذه اللغة الجديدة في الرواية الواقعية الرقمية لأنها تسعى لمواكبة العصر الرقمي.

3 . في لغة الرواية الواقعية الرقمية ليست الكلمات إلا جزءً من الكل فبالإضافة إلى الكلمات هناك الصورة و الصوت و المشهد السينمائي و الحركة.

4 . لغة سريعة مباغتة، فالزمان ثابت و المكان نهاية تقترب من الصفر و لا تساويه، لذلك لا مجال للإطالة والتأنّي، فحجم الرواية لا يزيد عن المائة صفحة على أبعد تقدير.

5 الجملة في اللغة الجديدة تكون مختصرة و سريعة، لا تزيد عن ثلاث أو أربع كلمات على الأكثر.

6 الكلمات ترسم مشاهد ذهنية و مادية متحركة ، أي أن الكلمة يجب أن تعود لأصلها في الرسم و التصوير، فعلى الكلمات أن تجسّد أحداث الرواية بشقّيها المادي الملموس أو الذهني المتخيّل.

7 تغيير ذهن الروائي، إذْ لم يعد ذلك المبدع الذي يمسك قلمه ليخطّ الكلمات على الورق ، ولكن تغيرت أدواته فصار مؤلفا ومبرمجا، يعرف فن الإخراج ، و فن كتابة السيناريو ومتقنا للحاسوب .

خصائص الرواية التفاعلية :

تتميز الرواية التفاعلية بسمات وخصائص منها[2] :

1. التركيز أو الحذف:

تعتمد الرواية التفاعلية على الإيجاز القائم على تكثيف المشاهد واللحظات، و تناسب هذه الخاصيّة طبيعة النصّ المترابط في الرواية الذي يبتعد عن الاستطراد الذي نجده في السرد الروائي في الرواية الورقية.

2. الطابع التقطيعي :

1 - ينظر: فاطمة البريكي ، مدخل إلى الأدب التفاعلي ، ص 126-127

(2)- ينظر: شعرية النص التفاعلي، لبيبة خمار، ص 74-82

تتميز الرواية التفاعلية بعدم احترامها لمفهوم الوحدة المبنيّة على قاعدة التراتبية ، لأنها لا تخضع لوحدة عامة كبرى ، إنما تسمح بقراءة تقطيعية و اعتباطية لا تخضع سوى لمزاج القارئ و حرية تنقله من خلال النقر على الروابط البارزة أمامه، فينتقل بحرية بين الروابط و المقاطع ، معطيا لما يقرؤه تركيبا خاصا بناء على رغباته و رؤيته للأشياء و الهدف الذي يبحث عنه من خلال تجميعه للأحداث، لكن هذا الطابع التقطيعي لا يعني الفوضى و عدم الانسجام لأن كل مقطع من الرواية التفاعلية يُعَد تاما مستقلا تماما عن غيره، و هذا ما يميز الرواية التفاعلية فهي تتطلب من القارئ الانتقال و الترحال بين مقاطعها، بينما الرواية الورقية تفترض الاستمرارية.

3. البنية القلقة:

بنية الرواية التفاعلية ليست ثابتة مستقرة، بل بنية تنفتح على أشكال تخيلية متعددة مثل، الصور الثابتة أو المتحركة ، الصوت الرسالة.

4. مشاركة القارئ:

أصبح القارئ يشكل جزءا من البناء العام للرواية التفاعلية، ولم يعد قارئا سلبيا بل إيجابيا مشاركا بكل حواسه

« فنحن نقرأ الكلمات و نشاهد الصور والخلفيات و نلتفت إلى الوصلات المضاءة، إننا نمارس فعل القراءة الرقمية عبر تفاعلنا مع ما تستظهره الشاشة"[1] فهو بمجرد تحميله للرواية يكون مشاركا فيها ، ثم انتقاله بين مقاطعها و روابطها.

5. الدينامية :

تتحقق الدينامية و الحركة من خلال التركيز على الكلمات خلال النقر عليها ، و تتجلى الوظيفة الإعلامية من خلال قابليتها للتنشيط ،فتتحوّل هذه الكلمات إلى سجلّات معرفية ،مما يمنح الرواية الحيوية و الحركية، ويمكن أن تشاهد و تتلمس من خلال هذا الانتقال من مقطع إلى آخر، وجعل الرواية بأكملها تنهض على جمالية الظهور و الاختفاء.

6. الازدواجية :

تظهر سيمة الازدواجية في الرواية التفاعلية من خلال انفتاح الرواية على مجال غير أدبي ، ليشكل جزءا هاما من البناء لدرجة أن الجانب السردي يكاد لا يظهر، نظرا لهذا التعالق مع المعلوماتية ، فكل نص ينظر إليه من زاويته المعلوماتية أو السردية ، إن

(1) - عبد القادر فهيم شيباني ، السرديات الرقمية ، دائرة الثقافة و الإعلام ، الشارقة 2013 ص17

كانت الأسبقية تعطى للجانب التقني لكن هذا لا يلغي الجانب السردي الذي يعد أساس بناء الرواية، هذه السمات التي تميز الرواية التفاعلية تضع القارئ في حالة توتر و قلق ، ناتج عن البناء المحكم للمتاهة النصية التي يغيب مركزها فيتشتت المعنى ، و على القارئ أن يلم هذا الشتات و التعدد ليمنحه وحدة الانسجام و بذلك يعيد بناء النص من جديد.

إن تأثير الوسائط التكنولوجية و وسائل الاتصال الحديثة على الحياة المعاصرة في شتى جوانبها والأدب لم يكن بمنأى عن ذلك و لعل الأدب الرقمي هو التجلي الأهم لهذا التأثير في مجال الأدب بشكل عام ، حيث نجد الرواية الرقمية حاضرة و تحظى باهتمام مبدع القرن الحادي و العشرين. و هي نص سردي تمت معالجته باستخدام تقنيات الحاسوب المختلفة من مؤثرات صوتية وبصرية و خدع سينمائية وغيرها مما تتيحه الثورة المعلوماتية و الرقمية أي هي عملية « تحويل أو إخراج أو إعداد قصة مؤلَّفة من قبل ،تأليفا بشريا، لتعمل على وسيط إلكتروني من خلال إضافة بعض التقنيات الجديدة المتعلقة بالصوت والصورة واللون والرسوم الكرتونية والصور المتحركة ومؤثرات موسيقية أخرى مع الاستفادة من خصائص الفيديو في الإرجاع والتقدم والتثبيت، أو فيما يعرف بالملتيميديا (MALTI MEDIA) أي الوسائط المتعددة»[1]. على أنه يمكن أن تكتب الرواية الرقمية مباشرة على شكل إلكتروني دون وجود المقابل الورقي لها، و هي باستخدامها للتقنيات الحاسوبية لتصنع فضاء عجائبيا مليئا بالإثارة و التشويق يجعل المتلقي يتلقى النص الروائي بطريقة مغايرة عما كان مألوفا كما يحدث في النصوص التي تكتب للأعمال الدرامية مباشرة. والرواية الرقمية تتوفر في الأقراص المضغوطة والمدمجة ،أو على شاشة الكمبيوتر الشخصي أو عبر مواقع الويب المختلفة، وعبر شاشات التلفزيون.. و أيا كان نشرها فهي تعتمد على عناصر تتمثل في:

أ. الصورة:

إننا نعيش اليوم عصر الصورة بامتياز يقول مارتين جولي(Martine joly) «إن حضارة اليوم هي حضارة الصورة بحق، إنها تميز حاضرنا اليوم »[2] ، كما تحدث رولان بارت عن

(1) . أحمد فضل شبلول:التقنيات الرقميَّة وتحقيقها لغايات أدب الأطفال الإسلامي دراسة وتقويم لعدد من النماذج.مقال منشور في موقعhttp://www.syrianstory.com

(2) منصور أمال: سيميوطيقا الصورة ،سلطة الصورة أم صورة السلطة؟"سقوط النظام العراقي" نموذجا. الرابط .

الصورة و بلاغتها في كتابه أساطير. و معلوم أن المتلقي يميل بطبعه إلى الصور و الأمور المحسوسة و الملموسة أكثر من المعنوية المجرد، ولهذا اعتمدت المدونات الروائية على الصور و الرسوم الملونة وصورة الغلاف التي غالبا ما تحمل رسوما متنوعة و بألوان براقة، لذلك نجد اهتماما كبيرا من قبل الباحثين والكتاب و دور النشر بالرسوم وطريقة توظيفها بما يخدم النص الروائي مهما كان بسيطا و هذا يحدو بنا إلى اعتبار الصورة تؤدي دورا فعالا في عملية إيصال الرسالة المرجوة للمبدع حتى و لو كان لا يفهم الكلام المرافق لها، فضلا عن جذبها انتباه القارئ نحو الكتاب المعروض. و اليوم و بفضل تقنيات الحاسوب المتعددة أضحت الصورة تقدم واقعا افتراضيا يشعر المستخدم بأنه يعيش فيه لشدة محاكاته لواقعه. فالألوان التي تستعمل و نوعيتها والتقنيات عالية الدقة (الأبعاد الثلاثية) المستخدمة فيها تعمل على شد انتباه المتلقي الصغير و تدفع به للولوج إلى العالم العجائبي الذي تقدمه له، الأمر الذي يشبع حاجاته النفسية و العقلية. كما أنه يجد الشخصيات المقدمة تحاكي الشخصية الواقعية له و لا يتردد في تقليدها إما في طريقة الكلام أو الملابس أو حتى في تسريحة الشعر ...

ب. الصوت و الموسيقى:

تعتبر الموسيقى و الأصوات عنصر إغراء و جذب مهم لدى المتلقي، و الرواية الرقمية تتيح إمكانية توظيف الموسيقى و الأصوات المختلفة: صوت الإنسان، أصوات الطبيعة مثل الحيوانات، الرعد، خرير المياه...

ج. توظيف اللون و الحركة:

يعتبر اللون عنصرا نفسيا فيزيولوجيا محددا للتلقي لأن العين تتأثر باللون مثل تأثرها بالشكل. كما تضفي الحركة على النص نوعا من الإثارة و الدهشة لا يشعر معها المتلقي بالملل أو الضجر.

وهذه العناصر تتكامل فيما بينها لتصنع عالما عجائبيا مثيرا للمتلقي و محركا قويا لخياله يجمع بين المتعة و الفرجة و التفاعل مع ما يشاهده.

فالرواية الرقمية إذن تقدم للمتلقي عالما يمتزج فيه الواقع بالخيال، إذ «هي تقدم له عوالم قد لا يتمكن واقعيا من الوصول إليها : الفضاء الفسيح، أعماق البحار و المحيطات وغيرها بفضل التقنيات التي تقدمها التكنولوجي

---

http://www.adablabo.net/mansour.htm

خاصة وأن مجال الخيال واسع خصب وغير محدود كما يقول آينشتاين إنّ المعرفة محدودة و الخيال غير محدود»[1]؛ و يتم ذلك عبر شخصيات واقعية تنتمي إلى عالمه الواقعي.

ما يمكن أن نقوله أن الرواية الرقمية تشق طريقها وتريد أن تفرض نفسها و تجد لها مكانا مميزا في ثقافة السرد في وقتنا الراهن، بفضل ما أفادت منه من مزايا التكنولوجيا الحديثة من مؤثرات وخدع سينمائية حولت الروايات إلى عوالم تنبض بالحياة و تزخر بالإثارة والجمال. و نحن في عالمنا العربي أحوج ما نكون إلى اقتحام هذا المجال بتكثيف الجهود و توحيدها لخوض غمار الإنتاج السردي الرقمي الموجه المشبع بقيمنا وأخلاقنا و المستوفي لشروط الحداثة و الرقمنة ليكون في مستوى ما يقدم و يعرض على شاشات التلفزيون و فضاء الإنترنت الذي يقضي أغلبهم جل أوقاتهم أمام حواسيبهم أو مع هواتفهم الذكية، ما يجعلهم عرضة لثقافة الآخر، وكلما كانت المادة المعدة محصنة و غزيرة و متوفرة عبر هذه الوسائط كان المتلقون في مأمن من أن تستحوذ على عقولهم منتجات روائية لا تتوافق في أغلبها مع قيمنا الأخلاقية من هنا نجد بأنه لابد من تطويع تكنولوجيا المعلومات لصالح الرواية نظراً لأن هذه التكنولوجيا تؤثر على القارئ العربي، وتعد سلاحاً ذا حدّين.

إنّ الرواية التفاعلية ميدانا خصبا يمارس فيه المتلقون المختلفون خاصة ملء الفراغات بدعوة وتشجيع من المبدع غالبا،ففي هذا الجنس من النصوص الأدبية الإلكترونية تكثر الفراغات التي تترك عمدا من قبل المبدع كما يحفِّز المتلقي على قراءة النص من خلال إغرائه بالسماح له بالمشاركة في كتاباته.

ومما لاشك فيه أن هذه الطريقة في الكتابة الأدبيّة تبين كيفيّة الإضافة إليه،وملء ما يلمسه فيه من فجوات مما يجعل منه متلقيا إيجابيا فعالا اتجاه النص الذي يقرؤه فيتحرّر من الصورة النمطية المعروفة للمتلقي الذي يكتفي باستقبال النص كما خطّته أصابع المبدع.وبإمكان المتلقي أن يضيف للنص الروائي التفاعلي أحداثا تكمل بها الأحداث الموجودة في النص الأصلي،أو يطوِّر بها ما هو موجود في بعض أنواع (الروايات التفاعلية) ثم يضع خاتمة الرواية كما يتوقع أن تكون،وبهذا اختلفت هذه الخاتمة باختلاف المتلقين الذين سيسجلون توقعاتهم لها[2] . وبتعدد الطرائق التي تتخذها تقنية

(1) محمد سناجلة: رواية الواقعية الرقمية. تنظير نقدي.http://www.abegs.org

(2) . ينظر :فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي،ص 157.

الفراغات في الرواية التفاعلية عن سابقتها،« إذ يتبارى الروائيون التفاعليون في ابتكار أشكال مختلفة يقدمون بها نصوصهم الروائية عبر الوسيط الإلكتروني مستفيدين في كل مرة مما استجد في الظهور على الساحة التكنولوجية والتي أصبحت ذات تأثير ظاهر على الساحتين : الأدبيّة والنقديّة»[1].« وقد ولد هذا الجنس الأدبي الجديد في رحم التكنولوجيا،وما كان له أن يتأتى بعيدا عنها،إذ لا بد له من برامج مخصصة لكتاباته،أو في حالة عدم الاستعانة بهذه البرامج المخصصة لا بد من الاستعانة بالخصائص التي تتيحها كتابة نص إلكتروني قائم على الروابط والوصلات على أقل تقدير»[2]. « وتعتمد الرواية التفاعلية على كسر النمط الخطي الذي كان سائدا مع الرواية التقليدية أي الرواية المقدمة على وسيط ورقي يلتزم فيه المبدع خطا سير واضحا غالبا،يتبعه فيه القارئ الذي لا يحاول مخالفة هذا الخط،وإلا خرج من الرواية دون نتيجة ودون أن يفهم منها شيئا،وما ذلك إلا لأن بنية الرواية كانت تفرض عليه طريقة محددة في قطف ثمرتها وحين خالف تلك الطريقة خرج من الرواية دون ثمر».[3] إن هذه الرواية وإن كانت تعتمد في كتابتها وتأليفها على برامج إلكترونية لا علاقة لها بشبكة الإنترنيت،إلا أن كيانها لا يقوم بعيدا عن هذه الشبكة،فبمجرد أن ينهي المبدع روايته يلقي بها في أحد المواقع الإلكترونية التي تساعده على تقديم روايته لعدد لا يحصى من المتلقين الذين يختلفون في ، أعمارهم

واهتماماتهم ووظائفهم ومستوياتهم الاجتماعية والأكاديمية والنفسية...إلخ ، مما سيؤثِّر على طريقة تلقي كل منهم للنص الروائي المقدَّم لهم جميعا وبالتالي سيؤثر على طريقة تفاعل كل منهم مع ذلك ،لأن شبكة الإنترنيت العالمية هي الوسيلة السريعة والمناسبة لإيصاله إلى القراء والتي تتيح لهم هذه الصفة التفاعلية المفترض وجودها في الرواية حتى تكون تفاعلية»[4]

وكتابة الرواية التفاعلية تعتمد على عدة برامج مخصصة لذلك تتوفر للمستخدم من قبل شركات متعددة،تتولى إنتاج هذه البرامج،ومن أشهرها استعمالا برنامج المسرد.فالروايات الرقمية توظف تقنيات (الملتيميديا والأنيمشر والغرافيك)التي وفرتها

(1) ينظر :المرجع نفسه :ص 157.

(2) المرجع نفسه : ص 157

(3) فاطمة البريكي،مدخل إلى الأدب التفاعلي ص 112.

(4) المرجع نفسه : ص 13

تكنولوجيا المعلومات،فلا تقرأ بشكل متسلسل يتبع أحداثها التي يرسمها المؤلف،كما هو الحال في الروايات الورقية بل تتفرع بفضل وصلات وروابط يضعها المؤلف،« تفتح الرواية على نصوص أخرى أو صور وأصوات أخرى كذلك ويسمى أحمد فضل شبلول هذه النوعية من الروايات بالرواية (كليب) ذلك أنها توظف لقطات فيديو حية لأحداث حقيقية في سياق الرواية،كأن يتكلم السارد عن تأميم قناة السويس أو أحداث 11 سبتمبر أو مقتل أحد الشخصيات السياسية،فيضع عقدة في الرواية (كلمة) يمكن تنشيطها فيحال القارئ مباشرة إلى لقطة الفيديو للحدث في وقته،بشرط أن يكون المتلقي (أون لاين) أي على اتصال بشبكة الأنترنيت»[1]. فمنذ أن أصدر ميشل جويس(Michael Joyce) أو "رواية تفاعلية" في العالم بعنوان "الظهيرة قصة " أو (afternoon a storey) عام 1986،مستخدما برنامجا خاصا بكتابة النص المتفرع،توالت بعد ذلك الروايات التفاعلية في الأدب العربي،وظهر ذلك جليا في تجارب مثل تجربة يوبي رابيد في "الرواية التفاعلية »[2]

والرواية التفاعلية تعبر عن عالم جديد،خليط بين مفهوم الخيال والرابط ووجهة النظر الخاصة بالروائي مع استخدام تقنيات أخرى تضيف المعنى وتبرز وجهة النظر للرواية.

وفي هذا المضمار، فإن الانتشار الواسع للنص السردي منه على وجه الخصوص الذي أتاحه التقدم التقاني، من خلال شبكة تراسل المعطيات الرقمية العالمية ـ (الانترنت) ـ قد وضع النص الروائي أمام تحديات كبيرة تتمثل:

- ضرورة البحث عن آليات إنتاج للنص السردي المتوافق مع آليات إنتاج النص الرقمي، ليتيح للنص الروائي التجلي عبر الوسائط التي يتيحها النص الالكتروني.

- العمل ضمن فضاءات تخيلية جديدة، تأخذ بعين الاعتبار اتساع الفضاء الزماني والمكاني للخيال، الذي أتاحته رحلات العقل العلمي وأدواته في فضاءات واسعة جديدة.

ـ إنجاز معماريات جديدة للنص الروائي، يتسع لنتاج التفاعل بين الثقافة المكتوبة والشفهية والثقافة الالكترونية الرقمية.

---

(1)كلثوم زنينة النص الأدبي من الشفهية إلى الرقمية رؤية في المفهوم والمرجعية و الافاق النقدية جامعة سطيف

(2) جمال قالم،الأدبي من الورقية إلى الرقمية (آليات التشكيل التلقي) مذكرة ماجستير ، كلية الآداب واللغات المركز الجامعي البويرة ، إشراف أحمد حيدوش /السنة الجامعية 2009/2008

ولعل في بروز ظاهرة النص المفتوح ما نجده استجابة أولية- وليست كافية -للانتقال بالنص الأدبي إلى وضعية التفاعل الخلاق مع المنجز الثقافي، وذلك من حيث الأفق المفتوح لكليهما، فيما تبرز النصوص السردية المنشورة في مواقع الكترونية على شبكة الانترنت بحلة متمايزة عن نظيراتها المتجلية على الورق، وهو تفاعل آخر بين كلا المنجزين يشهد حضوراً لافتاً في العصر الحالي، فقد قدم الإعلام الرقمي مجالاً واسعاً لظهور النصوص السردية عبر نوافذه، وفي هذا الكثير من التجديد الذي يستدعي منا التوقف عنده باهتمام وجدية، فماذا عن حضور النص السردي الروائي بهيئته الرقمية في السرد العربي، وما هي أهم منجزات هذا التفاعل؟

إن التجربة العالمية الأبرز التي يمكن إيرادها كمثال عن الرواية التفاعلية الرقمية هي تجربة الروائي الأمريكي (روبرت أريلانو) في روايته (شروق شمس69)، التي تعتبر تطوراً مهماً في مفهوم إنتاج النص الروائي الرقمي، إذ إن هذه التجربة الروائية المنشورة مجاناً على موقع الكتروني على الشبكة العنكبوتية وهو(www.sunshine69.co)

تتيح للمتلقي أن يشارك في كتابة هذه الرواية عبر رابطة تشعبية تشير إلى إمكانية تفاعل القارئ مع الرواية بإضافة مشاركته إليها، وتنص هذه الدعوة على مايلي: «لا تنس إضافة مغامرتك إلى سجل ضيوف رواية (شروق شمس69)، هذه فرصتك لتغيير الماضي». وما هو مثير للاهتمام أن الروائي أريلانو يقوم بصياغة مساهمات القراء وإضافتها ضمن فصول جديدة إلى الرواية، وبهذا تتحول الرواية إلى نص يتعدد منتجوه، ولا يقف عند حدود ما هو معروف عربياً فيما يسمى مجازاً أو تجاوزاً «نصوص سردية رقمية» التي تعتبر مثل هذه المساهمات من القراء مجرد آراء أو ردود.

إن التفاعلية التي تتيحها هذه التجربة يقف وراءها فكرٌ ينظر إلى الآخر من موقع الشريك، بما هو منتج للعمل الفني، قبل أن يكون مجرد متلق تقليدي، (يسمع ويفهم أو لا يفهم، لا يهم) ما يعطي هذه الرواية إمكانية الانفتاح على عوالم متخيلة غاية في تنوع مرجعيتها، ويغير بشكل كلي مفهوم الروائي الخالق المستبد، وما يتيحه هذا التغير من دخول سمات جديدة على النص الروائي، لم يتح المجال بعد لدراستها بجدية.

أما في ما يخص الرواية العربية التفاعلية ، فنحن أمام ضآلة التجارب العربية الناضجة والمؤثرة في ميدان النص التفاعلي، مقابل تجربة سردية عالمية، إذ لم نرتق للأسف على نظير لها في السرد العربي المعاصر، مع التأكيد أن المحكيات العالمية قطعت أشواطاً من الحداثة، بات يخشى معها على حداثتنا السردية أن تبدو غاية في التقليدية، ، فمن غير

الجائز أن ننفق المزيد من الوقت على محاورات واستعراضات نقدية واصطلاحية سجالية عقيمة في معظمها حول البحث عن جنس الرواية في الفضاء الرقمي ؟وهل هناك أدب رقمي أصلا كما يذهب إليه البعض من المحسوبين على النقد العربي ؟ في الوقت الذي يتجه فيه المنجز الإبداعي السردي العالمي نحو تحقيق المزيد من التقدم، على طريق الخلق والدهشة!!

وإن كنا نعترف أنه ما يزال الأدب الرقمي في الساحة العربية ناشئاً، وخاضعاً لمنطق الخطأ والتجريب.

فالأعمال الرقمية العربية قليلة، بخاصة الرواية، فقد صدرت الروايات الثلاث للروائي محمد سناجلة:

(ظلال الواحد . شات . صقيع)

فرواية (ظلال الواحد) التي صدرت عام 2001..تعد شهادة ميلاد عملية في الأدب العربي فللمرة الأولى يظهر جنسا روائيا جديدا. فظلال الواحد لا يمكنك تنزيله فقط، ولكن أيضا قراءته في فضاء الإنترنت

« إن رواية ظلال الواحد لمحمد سناجلة نلمس لغة خاصة تساعد على التواصل الإنساني فالكلمة فيها جزء من الكل فهي هنا هذه الرواية تعبر بالصورة و الصوت و المشهد السينمائي و الحركة وقد استخدم الكاتب أسلوب الوصلات أسلوبا لكتابة هذا العمل الفني و عموما هي تقنيات في حاجة لدراستها دراسة جيدة فظلال الواحد تمثل بداية كتابة الرواية التفاعلية و لا زال هذا الجنس الأدبي في حاجة إلى عمل و تطوير»[1].

(1)مختاري، فاطمة :خصائص الأدب التفاعلي في رواية ظلال الواحد لمحمد سناجلة، ، المجلد 11، العدد 2 /30

يونيو/حزيران 2019)، ص ص. 27-43، 17ص.، جامعة عمار ثليجي الأغواط ، كلية الآداب و اللغات

والملاحظ أن الرواية إضافة لاستخدام التقنية الحديثة في الكتابة وكونها نشرت على شكل كتاب إلكتروني من خلا تقنيات الوصلات (links)لم تتخلص من السردي التقليدي في سرد الأحداث ، واستخدام الخصائص السردية من الاسترجاع(الفلاش باك) واستدعاء التاريخ والاستفادة من الحكاية الشعبية والمزج بين الأسطورة والواقع واستحضار التراكيب التراثية والقرآن الكريم مما أضاف على النص لغة معجمية متنوعة بين الحديث والقديم ...« لا تتخذ رواية ظلال الواحد خطا سرديا واحدا بل تتشكل في خطوط سردية متعددة ، لكل منها أحداثه

وشخوصه وأمكنته وأزمنته حتى ليبدو أننا نسير من خلال قراءة الرواية في طريق متعرجة تقضي إلى كثير من التفرعات ، إذا ما سلكنا واحدة منها فإننا سنرى أشياء مختلفة تماما ، عما يمكن أن نراه حين نسلك غيرها ، ولكن المدهش هنا أن التفرعات تتضافر في حديث الراوي (بضمير الأنا) عن محبوبته التي كان في وجود حياته سبب ما يعانيه من ألم وتشظ وانكسار وانتهى ذلك حين أقدم الراوي على قتلها ، ولكن بقيت تعشعش في وجدانه وتحرقه بذكراها ، كانت تجلس عند تلك النافذة تحدق في البعيد فتغرق في حزنها ...حزنها الذي ليس كمثله حزن كئيب ، صامت ، شاحب يخترقك بصمته ، .. ماتت عشيقتي ومات معها .. فاسكر معي ياسيِّدي وأعطني بدل العشق موتا »[1].

وتأتي **(شات)** أول تجربة حقيقية لرواية مرقمنة أو ما سماه المؤلف محمد سناجلة برواية واقعية رقمية، وتندرج عمليا على مستوى التجنيس ضمن ما أصبح يعرف ب hyperfiction، المرتبط أساسا بظهور تكنولوجيا المعلومات واستخدام الحاسوب وسيطا في القراءة، الشيء الذي لم يكن متاحا في الرواية الكلاسيكيّة لتعزز التجربة الروائيّة الرقمية وتضيف إليها أبعادا جديدة خصوصا بعد اكتمال الأدوات التقنيّة لدى الروائي... وربما

تصبح تلك الرواية دعوة إلى المبدعين العرب والنّقاد للانتباه لهذا الفن الجديد في جنس الرواية.

قسم اللغة العربية و آدابها مخبر اللغة العربية و آدابها .

(1)موقع ضخر : ttps://archive.alsharekh.org/Articles : أرشيف الشارخ للمجلات الأدبية والثقافات العربية ،

مجلة ثقافات عنوان المقالة: "ظلال الواحد" بقلم: محمد سناجلة ، لهيا صالح ، رقم العدد: 18تاريخ الإصدار 2006

فرواية (شات)جمعت تجارب سنوات من الاشتغال والحفر في الموروث قديمه وحديثه ولكن بتقنية جديدة ليس على المستوى الأسلوبي واللغوي والمهارات الإبداعية التقليدية فحسب ، ولكن على المستوى التقني. فالرواية معدة للقراءة على شاشة جهاز الكمبيوتر وليس كالرواية التقليدية، وتعد متعة بصرية وسمعية وذهنية معا، وقد ظهرت للوجود سنة 2005 بأربعة عشر فصلا تتم قراءتها على أيقونتي(next) و (bak)في حاشية كل صفحة .

وتدور أحداث الرواية في الواقعين الحقيقي والافتراضي وترصد الرواية لحظة تحول الإنسان الواقعي من كينونته الواقعية إلى كينونته الجديدة كإنسان رقمي افتراضي يعيش ضمن المجتمع الرقمي بتجلياته المختلفة.

تبدأ أحداث الرواية في العالم الواقعي وفي صحراء سلطنة عمان تحديدا حيث يعمل بطل الرواية في إحدى الشركات متعددة الجنسيات وتصور الرواية جدب هذا الواقع وفقره ووحدة الإنسان المفزعة فيه ويعزز هذا الشعور حركة الرمال والكثبان الرملية التي تأتي كخلفية للأحداث مع صوت صفير ريح الصحراء وليلها المخيف وكأنما يريد أن يقول سناجلة إن هذا الواقع لا يمكن عيشه أو الاستمرار فيه، هو رعب الوجود الإنساني في العالم الواقعي.

تنتقل الأحداث إلى العالم الافتراضي بانتقال بطل الرواية من وجوده في العالم الواقعي إلى كينونته الرقمية وولادة الإنسان الافتراضي الذي يعيش في المجتمع الرقمي، وتأتي الرؤية الخلفية البصرية للمشاهد باللوحات الجميلة والمصحوبة بالموسيقى التي يعلو صوتها تدريجيا.. للتعبير عن الوجود الافتراضي الجديد والجميل، الوجود البديل.. عن لحظة الانتقال هذه من الوجود الواقعي إلى الوجود الرقمي/الافتراضي، فبدل الصحراء المجدبة وحركة كثبان الرمال وأنين الريح تأتي المشاهد كلوحات مبهجة مع صوت الموسيقى، وكأنما يريد أن يقول الروائي إن العالم الافتراضي هو الحقيقي الذي يجب أن يكون.كما يتم استخدام مقاطع من أفلام سينمائية لتعميق الأفكار المطروحة حيث نشاهد مقاطع من فيلمي(American Beauty & The Matrix) واستخدام هذه المقاطع بذكاء في الرواية، وهو ما أضاف متعة جديدة على الرؤية البصرية الحركية للرواية الجديدة.

ثم تأتي **(ظلال العاشق-التاريخ السري لكموش)** ونُشرت على موقع اتحاد كتاب الانترنت العرب عام 2016.حيث يكون فيها التخييل الروائي العنصر الأساسي الذي

يرتبط بالبعد التفريعي (التشجيري) وفيه ينفتح النص الروائي على الشعر والخبر ومقاطع الفيديو والموسيقى والمشاهد المتحركة فتقرأ على الحاسوب وتسمع وترى لتتوسع الروابط وتتفرّع فتستمتع بالشرح والتعليق والتعقيب لخطب ونصوص شعرية قديمة ثم تجد روابط مشجّرة تقوم مقام الهوامش والحواشي إضافة لمشاهد تصويرية تظهر لك بالضغط على الزر أو الماوس وغيرها من التفاعلات الرقمية ، فالطابع الحركي للصورة يكاد هو العنصر المهيمن على المتن والذي يتم فيه التنسيق بين حركة المعنى وحركة الشكل في إطار منهجي تتوزّع فيه الأدوار بين السرد والتصميم و الديكور والبرمجة والإخراج ، فتتفاعل عند المتلقي متعة داخليّة تتعلق بتأثّره النفسي والعاطفي وبين متعة خارجية اتجاه ما يشاهد من ظواهر متحركة ،كأنه يجمع بين قراءة سردية تفاعلية ومشاهدة لفلم سينمائي .

وقد عمل "سناجلة" على ربط الصورة الروائية بالعنصر البصري مما جعل رواية (ظلال العاشق) تتميز على رأي زهور كرام « بتطوير عنصر المشاهدة الذي يحضر بقوة دلاليّة في نظام النص ، ويضع القارئ أمام سفر تاريخي وجودي وفلسفي ، كما تتعمّق الكتابة بالاشتغال التقني الوظيفي لتقنية الرابط التي تجعل النص في حالة التعدّد المفتوح حسب تحقق القارئ الرقمي وقدرته على التأليف المنتج للحالات النصية ، تجربة تمزج بين الخيال المركب والواقعي الراهن بتصريف رقمي ينتج حالة إبداعية برؤية عربية »[1] وفي لغة رواية الواقعية الرقمية لن تكون الكلمة سوى جزء من كل، فبالإضافة إلى الكلمات يجب أنْ نكتب بالصورة والصوت والمشهد السينمائي والحركة.

خاتمة :

الحديث عن الرواية التفاعلية سيظل عالقا و مفتوحا، لأنه بدأ مؤخرا و لازالت الدراسات النقدية تناقشه و تحيط به للقبض على دلالاته و كيانه و بالتالي التنظير له وإيجاد نظريّة نقديّة تدرسه و منهجا يرسمه.

من هذا المنطلق نستطيع أن نجد تعريفا للرواية الرقمية كما يحلو للبعض تسميتها باعتبارها الأدب الذي يوظّف معطيات التكنولوجيا الحديثة، خصوصًا المعطيات التي يتيحها نظام النص المتفرع(Hypertext) في تقديم جنس أدبيّ جديد، يجمع بين الأدبية

(1) زهور كرام ، محمد سناجلة يربح الرهان (في تقديم الرواية) الموقع التفاعلي محمد سناجلة 2016

والإلكترونية. ولا يمكن لهذا النوع من الكتابة الأدبية أن يتأتّى لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني؛ أي من خلال شاشة الحاسوب.

ويكتسب هذا النوع من الكتابة الروائية صفة التفاعليّة بناءً على المساحة التي يمنحها للمتلقِي، والتي يجب أن تعادل، وربما تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص مما يعني قدرة المتلقي على التفاعل مع النص بأي صورة من صور التفاعل الممكنة. والأدب التفاعلي بوصفه جنسا جديدا في الإبداع الأدبي، يتجسّد من خلال الرواية التفاعلية (Hyperfietion) وفي سواها من الأنواع الأدبية الجديدة التي يبدعها الأدباء ويتم تشكيل هذه القراءات انطلاقا من توافق تام مع مقتضيات التلقي وتفاعله وضروراته برمجيا وإلكترونيا وجماليا ودلاليا.

ولكي ندرك ماهية الرواية التفاعلية تتبّعنا روايات "محمد سناجلة" ووقفنا على كثير من جماليات النص الروائي وكيفيّة تلقّيه وتحديد تجلياتها المختلفة ، وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ "النص الروائي" لا يكتسب قيمته، ولا يتحقّق وجوده إلا بوجود متلقٍ متفاعل معه سواء كان هذا التلقي كلاسيكيا أو رقميا مما يفتح آفاقا جديدة للمبدع لتقديم نصوص مختلفة وعرضها في أحد المواقع على الشابكة.وفي الأخير يمكن استخلاص النتائج التالية :

ـ النص السردي نصّ مُقدّم إلكترونيا، بالاتصال بالشبكة أو دون الاتصال بها، يستعين بالصوت و الصورة و الوسائط المتعددة، و يشترط فيه الحضور التام للقارئ الفعّال و المتفاعل.

ـ المبدعون والنقّاد يخوضون تجربة كتابة سردية جديدة ، تحتلها ملكات ثلاث : الأولى ملكة الإنتاج أو الإبداع و الثانية ملكة التذوق، و الثالثة ملكة النقد، ونضيف لها ملكة رابعة يجب أن تأخذ مكانها في الرواية الجديدة ، و هي ملكة التعامل والتفاعل مع الحاسب الآلي، و دخول عالم الإنترنت.

ـ لقد قدم لنا سناجلة روايات بصرية لم تشهدها الرواية العربية من قبل وتعتبر فتحا جديدا وتأسيسا حقيقيا للرواية الواقعية الرقمية كرواية قادرة على حمل معطيات العصر الجديد والتعبير عنه.

ـ إن سناجلة يستخدم في هذه الروايات لغة مختلفة تماما عن اللغة التي اعتدناها في الرواية العربية التقليديّة وهو يطبق تماما ما قاله سابقا في كتابه التنظيري من أن لغة الرواية الجديدة لن تستخدم الكلمات فقط بل تعتبر الألوان و الصور الفوتوغرافية

والرّسومات في الأعمال الإبداعية بنمطيها الاثنين الثابت والمتحرك للتعبير و الموسيقى والصّوت عناصر أساسيّة في النّصوص التّفاعلية، فهي جزء من البناء وليست مكملة له، كما يجب عليها أن تكون مناسبة مع الموضوع.

. الوسيط الإلكتروني، وسيلة حديثة أوْجدتها تكنولوجيا المعلومات و هو لن يلغي الوسيط الورقي بل سيستمر جنبا إلى جنب مادام هناك من يشجّعه و يُصرُّ عليه.

. احتضان شبكات التواصل الاجتماعي و في مقدمتها الفايسبوك، للأعمال الإبداعية الروائية يساهم في انتشارها و رواجها.

. قراءة النصوص الإبداعية في شبكة اتصالية تجتمع فيها فئات القراء على مختلف مستوياتهم التي تمارس علاقتها التواصلية بكل حرية متجاوزة الحدود الجغرافية و العرقية ثم محاولة إيجاد نظرية نقدية تفاعلية للظاهرة الأدبية الجديدة

. يمنح المتلقي الإحساس بالقراءة المختلفة التي تعود عليه، بحكم أنّ الأدب التفاعلي لا يعترف بالمبدع الوحيد للنص، وإنما يخول للمتلقي النقد .

. إن جميع المزايا تتضافر لتنتج درجة التفاعليّة إذ تتعدد صور التفاعل، بسبب اختلاف درجة التلقّي.

. تشترط نمطية الأدب التفاعلي على القارئ التحرّر من الآلية التقليدية، لذلك فالأدب التفاعلي يحرص على تقديم نص حيوي تتحقق فيه روح التفاعل، فتنوّعت أجناسه فنجد مثلا الرواية التفاعلية.

. خوض غمار تجارب حديثة على مستوى العملية النقدية المفتوحة على الوسائط الجديدة و توظيفها لقراءة المنجزات السردية التي أصبحت تقدم الآن من خلال الواقع الافتراضي.